البـــابُ الأولُ

أهمية المناهج التربوية

مقـــدّمة

المناهج التربوية من الأمور التى تعنى بها الأفراد والجماعات والحكومات منذ أقدم العصور . فالفرد فى المجتمع البدائى يحلم دائماً بأن يورث ابنه ما عرف هو عن البيئة التى يعيش فيها والحياة التى يحياها ، فلا يفتأ يدربه ويعلمه ويوجهه منذ الطفولة حتى الرشد وحتى يطمئن إلى أنه قادر بعده على حمل الأمانة ومغالبة صعاب الحياة التى يحس بها هو ، فإن فشل فى تلك المهمة عاش بحسرة ومات دنفاً سقيما ، ومع تطور الزمن وتعدد مسارب الحياة الحضارية وتعقد أمور العيش ازدادت مناهج التربية أهمية فى نظر الناس وشغلوا أنفسهم الشغل كله بإعداد أبنائهم وذراريهم بوساطتها خير إعداد وبقدر ما يستطيعون لينجحوا فى مواجهة أمور دنياهم . كما فكروا أيضاً فى وسائل إعدادهم لتحمل مسئوليات دينهم وللتزود بأطيب الزاد من أجل آخرتهم .

وفى مجال العناية بالأفراد والجماعات عبر الزمن تزايد الاهتمام بالمناهج التربوية ونصب كثير من المفكرين أنفسهم لسبر غورها والبحث فى دروبها واستنباع الفلسفات الخاصة بها ووجهات النظر المختلفة بشأنها كى يحققوا الخير والإسعاد للنشء بخاصة والوطن بعامة . ولقد كثر من أجل هذا اختلافهم وتعددت آراؤهم مع مرور الأيام ، وتشعبت فى كلامهم وكتاباتهم موضوعات التربية ، وصياغتها فى مناهج وبرامج ، وتنحى عن مجالها من لم يتزود لها بزاد المعرفة ، وأصبح ميدانها يزخر برجالات الفكر . وأول ما يعنى هذا كله أن التربية ومناهجها لها ميزانها الخطير فى الارتفاع بقيمة الأفراد وتنمية نهضات الأمم . ولقد قال « لايبنتز » : أعطونى التربية أغير وجه أوربا قبل انقضاء قرن [1] .

---

(١) غوستاف لوبون : ترجمة عدل زعيتر ، روح التربية ، دار إحياء الكتاب العربية ، ١٩٤٩ ، ص ٨١ .

الفصل الأول

أهمية المناهج التربوية للدولة

إن المناهج التربوية ضرورة من ضرورات الحياة تحافظ بها الإنسانية على أن تبقى وتتطور . ومن ثم فهي محكومة بالفلسفات الاجتماعية ومظاهر الحياة العديدة للجماعة التي تعيش فيها ، وبالتراث الثقافي الذي خلفته الأجيال في أمة من الأمم ، وبالنظم الاقتصادية التي تسودها . ومهما تعددت الأساليب التربوية والمناهج التعليمية فهي تنزع جميعها إلى غرس المواطنة الصالحة في المواطنين من وجهة النظر الخاصة بالوطن كي يقوموا خير قيام بالخدمات الاجتماعية والوظائف الحيوية في مجتمعهم . ولذلك فمهمتها الثقيلة في هذا المجال أن تنمي الفرد في إطار قدراته واستعداداته معرفة وتفكيراً وصحة عقلية وجسمية ومهارة واعتزازاً بقيم المجتمع وميله ، وتوجه هذا النمو في الوقت نفسه لصالح الجماعة في نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

والذي لا شك فيه أن آثار المناهج التربوية الحكيمة تظهر في وعي الشعب السياسي حين يتحرر في اختيار ممثليه ويحاسبهم على ما قدموا من أعمال لخير الفرد والمجموع ، وحين يتفهم السياسات الدولية وتصارعها في سبيل المصالح الشخصية وموقف دولته في هذا الصراع مما يحتاج منه إلى تعضيد . ومناهج التعليم تخدم المصالح الاقتصادية للدولة بما تعمل على التقدم العلمي في مجال الزراعة والصناعة والتجارة مما يرجع إلى الدولة والأفراد تقدماً في اقتصادياتها وارتفاعاً في مستوى الدخل القومي . فمثلا يقوم العلم بدور كبير في القضاء على الآفات التي تنتص المحاصيل الزراعية ، وفي زيادة غلة الفدان ، وفي تسويق غلات الأرض ومنتجاتها على أسس قويمة ، وفي تصنيع المنتجات الزراعية ، وفي إقامة المشروعات التي تزيد في رقعة الأرض الزراعية وفي قوة إخصابها ، وذلك كله يعود على الدخل القومي وعلى دخل الفرد بالنماء العظيم . وفي الناحية الاجتماعية أيضاً يؤدي العلم دوره في

اشراع القوانين التى تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض والتى تكشف عن الأخطاء وتحاول إصلاحها .. وهكذا

ولقد أبان التعطش إلى التقدم والسبق فى كل أنحاء العالم وفى كل العصور . ولا سيما فى الوقت الحاضر ؛ مدى التطلع إلى المناهج التربوية عاملا من أقوى العوامل على تحقيق آمال الشعوب وقيادة سفينها إلى أخصب الشطئان وأعظمها ازدهاراً بالعمران والارتفاع النهضى . فكل أساليب التربية ومناهجها التى يطبقها الآباء والأمهات فى البيت والمدرسود فى المدرسة والحكومات فى المجتمع والتى تنصب على الأفراد ؛ تعمل جاهدة كى تخلق منهم أعضاء صالحين قادرين على الإسهام فى الرقى الاجتماعى بما لديهم من طاقات خلاقة تقوى مع التوجيه والتعليم على تطوير التراث الشعبى وتكييفه للظروف العالمية التى تكتنفه . ولولا ذلك ما كرست جهود الفلاسفة والعلماء التربويين والاجتماعيين والسيكلوجيين لتهذيب الفكر التربوى وتطويره وصوغه فى المناهج المناسبة ، وما تحملت الدولة فى سبيل أخذ أفرادها به باهظ النفقات حين تلزم نفسها بمجانية التعليم فى بعض المراحل التربوية أو كلها . وحين تسن القوانين الصارمة لجعله إلزامياً فى بعض المراحل التعليمية ، وان اختلفت فى مداها باختلاف الأمم وظروفها الاقتصادية وغيرها .

ولقد أنشئت المدارس ودور التربية والتعليم وعضد المواطنون استمرار وجودها وأكدوا ضرورتها لتسد بمناهجها التربوية حاجات المجتمع وتعمل على إسعاده ونهضته ، ومن ثم ولكى تكون هذه المدارس وتلك الدور ذات قيمة فيما قامت من أجله فإنها دائماً تأخذ فلسفتها وأهدافها من فلسفة المجتمع وأهدافه . فهى إذاً ملزمة — بمن يقوم على شئونها ويوجه سياستها — أن تدرس خصائص المجتمع الذى تخدمه ، وتتبين صفاته المميزة لتكوينه ونظمه الاجتماعية والدينية والاقتصادية والترفيهية ، وتتعرف فيه على الحاجات التربوية للشباب والصغار والكبار على السواء ، ثم تبنى مناهجها على أساس من هذه الدراسة ليكون تعاملها مع الأفراد مثمراً ، وتكون خططها فى تهذيبهم وتثقيفهم موسومة بسمة القبول منهم والنفع لمجتمعهم . ثم هى ملزمة أيضاً أن تتفاعل مع البيئة التى توجد فيها وتنتفع بما يكتنفها من إمكانات مادية وبشرية فى تحسين برامجها والوصول إلى أهدافها بالنجاح الكامل . وجملة

القيم أن عليها أن تكيف نفسها للخدمة اللائقة فى المجتمع وأن تعنى بإعداد نفسها أحسن الإعداد لتحمل مسئولية تطويره وإنهاض مرافقه .

ولقد عرف أن المدرسين هم صناع الأمة الحقيقيون ، يصوغون مستقبلها بقدر ما يبذلون من جهد وإخلاص فى العمل التربوى المنوط بهم وفى تعليم أبنائها طبقًا للمناهج التعليمية التى يقومون على تدريسها . وهم من أجل ذلك يعكسون بالمدارس التى يعملون فيها الصورة الدقيقة لمدى النهضة الشائعة فيها ونوع الثقافة التى تجمع بين أبنائها وتسود تصرفاتهم أفعالا وأقوالا . وفى هذا المعنى يقول رسل كوبر « Rassel cooper » « إذا أردت أن تعرف ثقافة مجتمع من المجتمعات فانظر إلى المدارس فيه »[1] ومعنى هذا بالصورة الواضحة أن المدرسة تعكس القيمة الاجتماعية وحقيقة التقدم الذى يحرزه قطر من الأقطار أو يحاول أن يرقى إليه . وبعبارة أخرى فإن الصور التربوية التى تعكسها المناهج والتى تتعهدها المدرسة بالنشر والذيوع تحمل فى طياتها قوة التعبير عن الحياة برمتها — ضعفها وقوتها — فى البلد الذى تعيش فيه . وإذا أردنا أن نفهم عبارة « كوبر » بدلالتها غير المباشرة فهى لا شك تضع على المدرسة مسئولية كبرى فى إنهاض المجتمع : وتحمل مناهج التربية والتعليم فيها ثقيل الأحمال بما يجب أن تخلقه فى الأفراد والجماعات من دفع نحو الصالح العام ومحاولة للارتفاع بالمستوى البشرى للدولة فى العلم والثقافة والاقتصاد والسياسة والأخلاق والقوة المادية والمعنوية وكثير غير هذا مما يبنى فى نهاية المطاف كيانًا محترمًا للدولة بين الدول والأفراد بين أمثالهم من الأجانب .

وليس ببدع أن تحتل مناهج التربية هذه المكانة وأن تكون لها تلك الأهمية فى بناء الكيان الدولى والفردى ، فقد ثبتت هذه الحقيقة عبر التاريخ ، وأيدتها الحوادث العديدة والظروف المستمدة من صور الحياة التى كانت وما تزال تحياها المجتمعات بنظمها المختلفة . فقد اتخذت منها الدول على اختلاف سياساتها ونظم الحكم فيها طريقًا إلى تحقيق أهدافها والتغلب على مشاكلها والانتصار لمبادئها .

---

(١) Rassel M. Cooper, et all, *Teacher Education For People*, Oneonta, N.Y., The AACTE, 1956, P. 1.

فهذه « إسبرطة » في أعماق الماضي البعيد تقسو عليها الظروف ويتربص بها أعداؤها في الداخل والخارج ، فتهب لحماية نفسها وتحرص على استمرار وجودها . وقد عرفت في التربية ملجأ أميناً ومأوى كريماً فهرعت إليها تصوغ مناهجها بما يحقق لها أحلامها ويستهدف أهدافها ، فكانت الاختبارات الجسمية القاسية للأطفال حين يولدون حتى تضمن الدولة كفاءة قوتهم وبنيتهم لما يلقى على عاتقهم بعد من مسئولية الحفاظ عليها والدفاع عنها . وكانت المدارس التي يلتحق بها هؤلاء الأطفال بعد هذا الاختيار القاسي أشبه ما تكون بالمعسكرات : أوامر ونواه وإجبار على تلقى المعلومات والدروس وتقبلها في ديكتاتورية صارمة ، على ما في هذه المعلومات وتلك الدروس من مجافاة للفنون والآداب ، كأن التلاميذ في ميدان قتال لا تناقش فيه الأوامر ولا يكلفون إلا الطاعة العمياء . ولقد حققت « إسبرطة » بهذا المنهج التربوي أهدافها الاجتماعية ، وحافظت على كيانها ، وإن أهملت الفرد كل الإهمال وذابت شخصيته في شخصية الدولة .

أما « أثينا » — وقد شاركت « إسبرطة » وجودها القديم — فقد كانت على العكس آمنة مطمئنة . وبهذا عزفت عن الديكتاتورية العسكرية ، وآمنت مع المجتمع بالفرد تحاول أن تربي شخصيته وتغذي بعض جوانبه واتجاهاته . وقد تمدت في تحقيق ما تصبو إليه إلى التربية تستعين بها ، ولكن بمنهج يناقض منهج « إسبرطة » : فعنيت بالعلوم والفنون والآداب التي يحتاج إليها الفرد في استكمال ذاتيته وتغذية روحه .

وأفلاطون حين أراد أن ينظم دولة لها كيان ممتاز في نظره ، أقام نظامها وبناه على أساس من منهج تربوي فصله في جمهوريته ، ففتح للحكام باب التعليم حتى نهايته واختط لهم منهجاً دراسياً راقياً قوامه علوم الفلسفة والمنطق وغيرهما مما لا يستطيع غيرهم السير فيه أما ما دون الحكام عنده فهم طبقة المحاربين المتسمين بالإرادة القوية . وهؤلاء لا يسمح لهم إلا بالتعليم في حدود إمكاناتهم العقلية ، ولا يسمون أبداً إلى المرحلة العليا من دراسة الحكام وإنما يقفون دونهم ويدرسون مناهج خاصة فصلها هو لهم . ثم تأتي من وراء ذلك طبقة العمال الذين يتعلمون

مع غيرهم من الطبقات الأخرى طبقًا لمنهج تعليمى معين حتى سن العشرين حيث يجب أن ينقطعوا عن الدراسة لضعف مقدراتهم العقلية ويلتحقوا بالحياة العملية زراعًا وصناعًا وأصحاب حرف مختلفة .

وما دالت الدول وتعاقبت الحكومات عرف التاريخ أن الحكم النازى حين استولى على ألمانيا سنة ١٩٣٣ م كانت له مطامع خاصة يريد أن يحققها ، وهى أن يخلق المواطن المؤمن بالنازية إيمانًا أعمى ، تلك النازية التى كانت تقوم على العصبية للجنس والتفريق العنصرى الذى يغرى بالعدوان على الشعوب الآمنة ، ويعزل الشباب النازى عن العالم حولهم فلا يشعرون معه بوحدة إنسانية . وقد كانت مناهج التربية بمدارسها المختلفة هى الفأس التى أعملت فى السياسة القديمة بما فيها من متى واتجاهات فحطمتها ، وكانت هى نفس الفأس التى استخدمت فى افتتاح قناة الحياة للسياسة الجديدة التى طمح إليها النازيون . والملك عمد حكامهم من البداية إلى السيطرة الكاملة على مراكز الثقافة ، وانتزعوا السلطة التربوية من يد الكنيسة وركزوها فى أيديهم وحدهم ليسهل عليهم توجيهها التوجيه الذى يضمن لهم أداء الغرض النازى أداء ممتازاً . وقد كان لهم ما أرادوا فطبعوا الشباب قسراً عن طريق المناهج المدرسية التى وضعوها والنشاط التربوى والثقافى الذى اختطوه خارج المدارس فى النوادى والمجتمعات المختلفة : طبعوهم على الولاء للحزب النازى والتفانى فى خدمة مبادئه وأغراضه ، فنزعوا مقومات الإنسانية من نفوس الألمان وزينوا لهم السلوك الشائن وطوعوهم للعمل كقطعان من الوحوش المسعورة تنطلق للافتراس أينما توجه . وكانت لألمانيا بذلك صولة خشيتها كل الدول وقوة أرهبت الناس وإن لم تستمر طويلا .

وحين قسمت ألمانيا سنة ١٩٤٥ م لم تنس هيئة الأمم ما للمناهج التربوية من تأثير قوى على الأفراد والجماعات ، وما لها من أهمية كبرى فى بناء صرح الدول وتغيير جوهر الأمور الاجتماعية فيها . بل وعرفت أن أقوى معول لهدم النازية هو المنهج التربوى . وحينئذ سارعت دول الاحتلال الأربعة : روسيا وأمريكا وفرنسا وإنجلترا إلى وضع اتفاقية العمل التربوى داخل ألمانيا سنة ١٩٤٧ م التى قضت

باتفاق الجميع على عشر نقاط [١] لإصلاح المدرسة ومناهج التربية والتعليم حتى يمكن تحقيق الأهداف الاجتماعية التى كانوا يريدون إعادة صياغة الكيان الألمانى على أساسها ، والتى كانت فى جملتها تضاد ما بناه النازيون طوال مدة حكمهم مؤسساً على المبادئ التربوية التى انتهجوها .

والدول الاستعمارية لم تغفل عن التربية سلاحاً ماضياً فى إخضاع الشعوب المستعمرة وضمان ولاء شبابها ، ولكنها كانت تسن سنة خاصة فى تعليم هذه الشعوب

---

(١) النقاط العشر كما وردت :

R.F. Butts, *A Cultural History of western Education: Its Social and Intellecual Foundation*, N.Y, McGraw Hall, Book Company, Inc., 1955, P. 363.

1. Equal educational opportunities for all. تكافؤ الفرص التربوية للجميع .

2. Free texts and school materials, and scholarship grants.
مجانية الكتب والأدوات الدراسية وإعطاء المنح الدراسية .

3. Compulsory attendance from ages 6 — 15 and part attendance to 18.
تعليم إلزامى من سن ٦ حتى سن ١٥ وحضور جزئى فى المدرسة حتى سن ١٨ .

4. Ladder system rather tham tow — track system of elementary and secondary schools.
النظام التابعى بدل النظام اثنائى فى المدارس الابتدائية والثانوية :

5. Democratic citizenship education. تربية المواطنة الديمقراطية

6. International understanding. التفهم العالمى .

7. Health and physical education. التربية الصحية والجسمية .

8. Educational and vocational guidance. التوجيه النفسى التربوى والمهنى .

9. Education of teachers in universities. إعداد المدرسين فى الجامعات .

10. Partciipation by German people in the reform of their educational system.
اشتراك الألمان فى إصلاح نظامهم التربوى .

فتتسع لمدارسها المناهج التى تباعد بين المواطنين وتاريخهم القومى وتؤكد فى الوقت نفسه أمجاد المستعمر وبطولاته ومآثره على بلاده وعلى الإنسانية جمعاء . ومن ناحية أخرى تقصر التعليم على الخاصة ، تلقنهم النظريات المجردة البعيدة عن الهدف الاجتماعى لتعزلهم عن بقية أفراد الشعب وتربى فيهم مواطنين سلبيين لا قدرة لهم إلا على الأنانية والوصولية . وقصة التعليم فى البلاد العربية والإفريقية أيام الاحتلال خير شاهد على ذلك .

وإذا انتقلنا إلى البلاد الحديثة ذات النصيب المتقدم والمتطور فى التربية نجد أن نظرتنا إلى المناهج التربوية ما زالت نظرة الآمل فى أن تبنى لها صرحاً دولياً متميزاً، وتضعها فى الموضع الذى تعتز هى به وتسعى جاهدة أن ترقى إليه . فهذه أمريكا تحاول أن تصنع عن طريق المناهج التربوية معجزة فى شعبها ، ذلك أن شعبها فى حقيقة أمره طوائف وشيع تنتصر كل طائفة وشيعة لثقافة البلد الذى نزحت منه وتعتز بعنصرها مستعلية على العناصر الأخرى ؛ فكل من العنصر الألمانى والإنجليزى والإسبانى وغير ذلك من العناصر التى يتكون منها شعب الولايات المتحدة يميل لى أن يتكور فى إطار وحده ، ويحيط نفسه بهالة من الرفعة الجنسية والثقافية المتميزة عما للعناصر الأخرى . تحس ذلك فى اللغات التى يتكلمونها مع الأمريكية مختلفة باختلاف مواطن هجراتهم ، وتحس ذلك أيضًا فى النغمة العنصرية التى تظهر فى ثنايا أحاديثهم وتنف كلامهم ، وإن حاولوا أن يظهروا التوافق الجمعى والانسجام الشعبى والبعد عن التعصب العنصرى . ذلك الذى يشيع فى الشعب الأمريكى من نوازع التشتت العاطفى وسمات البعد بين الطوائف التى هاجرت من بقاع شتى واستوطنت ذلك البلد النائى ؛ قد دفع بالتربويين هناك أن يفكروا كيف يتغلبون على هذه المشكلة عن طريق المدارس والمناهج التربوية . وقد حاولوا وما زالوا يحاولون فى ذلك محاولات عديدة . وما زال الناس هناك يحملون المدارس مسئولية هذا الإصلاح ويلومونها أشد الملامة لأنها ما زالت مقصرة فى سبيل تحقيق هذه الغاية .

وهذا يدل على أن المناهج التربوية فى نظر الأمريكيين ذات أهمية كبرى للدولة وأنها قديرة على خدمة أغراضها خدمة صادقة ؛ أنهم يطمعون عن طريقها فى

الارتقاء إلى مدارج القيادة العالمية ، ولذلك تراهم يعملون على سيادة اللون التربوى الذى يتهجونه فى مختلف البلاد فيختطون الخطط التى تزيد اتصال العالم بثقافتهم ونظمهم التربوية ، ويفرقون منحهم الدراسية فى جميع أقطار العالم حتى فى روسيا نفسها استجلاباً للأعداد الضخمة من الكفاءات الممتازة فى كل الميادين إغراء لهم بالدراسة فى بلادهم ليتمكنوا عن هذا الطريق — طريق الدراسة والتعليم طبقاً لمناهجهم التربوية — من صنع الحواريين الذين يعطفون على قضية الود لهم ويخدمون مبادئهم ويحترمون سيادتهم . وفوق ذلك فقد دأبوا على تدريب كثير من شبابهم ليعيشوا وسط الجماعات البدائية أو النامية معلمين ومثقفين ، وبهذه يثبتون كيانهم السيادى بينهم ، ويؤثرون بثقافتهم وتربيتهم فى عقول الناس فينحازون إليهم ويدينون لهم بالقيادة العليا العامية . وفى هذا السبيل فتحوا الجامعات الأمريكية بالمعاهد العلمية المختلفة لتلقى العثات من كل مكان . كل هذا يدل دلالة واضحة على إيمانهم بمكانة التربية ومناهجها فى جمع الناس حولهم والنفوذ من خلالها إلى ما يطمحون إليه من أغراض ، وأقولها صريحة : لولا أن ساستهم يشتطون ويحكمون جانب التكتل ويتهورون فى الحكم والتصرف إزاء من لم يرتم سريعاً فى أحضانهم أو أظهر شخصية الحياد بينهم وبين غيرهم ؛ أقول لولا سرعة انحراف تصرفاتهم السياسية عن المعقول واتخاذهم جانب الحرب ضد من يخالفهم الرأى اعتماداً منهم على شعارهم المعروف « من ليس معنا فهو ضدنا » ؛ لولا هذه السياسية لأدت المناهج التربوية فى مضمار الهدف الذى يسعون إليه إلى خير النتائج .

وروسيا — حين وقفت أمام الكتلة الغربية موقف المنافس ، تريد أن تبنى لها قوة وجبروتاً يحسب لهما حساب — اتجهت إلى العلم وهو بعض مناهج التربية بمفهومها الواسع ، فاتخذته مطية لتحقيق أهدافها . وقد وصلت فعلا عن طريق التركيز العلمى فى مدارسها وجامعاتها إلى بناء كيانها الدولى بناء يتميز بالسبق والقوة ، وحملت الناس على الاعتراف لها بالجسامة والخطورة ، وعلى الخشية متهاوتحاولة الالتقاء معها على صعيد التوافق والتوازن . وقد اعترف ريكوفر «Rickover» — وهو أدميرال أمريكى — فى التقرير الذى أعده وكتبه عن التعليم فى روسيا بعد زيارة خاصة بقصد التعرف على نظمها التربوية فى المدارس والجامعات ؛ اعترف أنها

سبقت وتفوقت فى بعض مجالات التنافس الدولى لأن مناهجها التربوية وأساليب التعليم فيها من القوة والتركيز على العلوم «Sciences» . بحيث أدت إلى ذلك[١] . وذكر « رتش » أن البناء القوى للمجتمع الشيوعى الروسى قد قام على الأساس التربوى .

«In one Sence it is true to say that the structure of Russian Communist Society, which proved so strong under the impact of latter war, was built upon an educational foundation».[٢]

وكل بلد ينمو أو يريد أن ينمو فى المحيط الدولى لا يغفل ما للعلم والمناهج التربوية من فضل أى فضل فى خلق المجتمعات الناهضة والارتقاء بها سريعاً إلى مصاف العظماء ومستوى الكمال ؛ فجمهورية مصر العربية مثلا حين ثارت على الظلم والطغيان ، وأرادت أن تأخذ بنصيبها فى الحياة الكريمة ؛ لم تجعل ثورتها عاطفية ، بل أقامتها على قاعدة مناهج العلم والتربية السليمة للشعب إيماناً منها بأن « العمل الثورى لابد أن يكون عملا علمياً »[٣] وأنه « إذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً »[٤] ، « فالعلم وحده هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى ، والعلم وحده هو الذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدماً مأمون العواقب . وبدون العلم فإن التجربة والخطأ تصبحان نزعات اعتباطية قد تصيب مرة ولكنها تخطئ عشرات المرات »[٥] . وهكذا يقرر الميثاق — وهو دليل العمل الوطنى — أن العلم فى جمهورية مصر العربية هو منبع الدفع الثورى لتحقيق أهداف الأمة والأفراد فيها وأن السلطات الشعبية « بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقاً لمطالب الجماهير »[٦] ، وأن قدرتنا « على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف . بل إن النضال الوطنى إذا ما اعتمد على العلم

( ) Hyman G. Rickover, *Report on Russia*, State Government Printing Office, 1959, PP. 48 — 99.

(٢) R. W Rich, *The Teacher in Planned Society*, University of London Press, P. 4.

(٣) (٤) (٥) (٦) ، الاتحاد القوى ، الميثاق ، الباب الثامن ، دار ومطابع الشعب ١٩٦٢

المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للانطلاق»[1] ، «وأن الأمم التي أرغمت على التخلف إذا ما استطاعت أن تبدأ معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التي بدأ منها الذين سبقوها إلى المستقبل ، ومن ثم تمنح نفسها قوة اندفاع أشد في اللحاق بهم والسبق عليهم»[2]

واعترافاً بأن مناهج التعليم والتربية سناد قوي في تشكيل الحياة لأي أمة وإعادة بنائها بما يضمن لها حياة الكرماء الأعزاء ؛ دعا الميثاق الوطني إلى إعادة النظر في سياسة التربية والتعليم عندنا ، وتغيير المناهج بما يساعد «الإنسان الفرد . . . على إعادة تشكيل الحياة»[3] حرة كريمة تليق بثورة مصر العظيمة . وهكذا اختطت جمهورية مصر العربية سياستها الثورية طبقاً لمنهج تربوي تعليمي جعلته في مقدمة النشاط القومي وأولته عناية كبرى ؛ حيث هي بسبيل إقامة المجتمع العربي على دعائم من الديمقراطية والاشتراكية والتعاون ، وليس يعني بغرس القيم التي تتضمنها هذه المبادئ أكثر من التربية إذا خدمت مناهجها كماً وكيفاً .

وإذا كانت المبادئ التربوية والعلمية التي تحدث عنها الميثاق لم تأخذ سبيلها إلى النور الكامل في حياتنا العامة ؛ فإنا نأمل في القريب العاجل أن يولي المسئولون عنايتهم واهتمامهم بما جاء في الميثاق من هذه المبادئ القويمة فيعملوا على تطبيقها التطبيق الصحيح والكامل في كل مناحي الحياة في جمهوريتنا العربية وفي الوطن العربي كله حتى يتحقق لنا وللعرب جميعاً عن طريق المناهج التربوية والتعليمية ما ننشده من مكانة مرموقة تحت الشمس .

ومما تقدم نرى أن المناهج التربوية تقف من الدولة العماد الأول المكين الذي تعتمد عليه في نهضتها إذا أرادت أن تنهض ، وفي قوة شخصيتها إذا عن لها أن تقيم لنفسها شخصية تحترم . ولا ينقص من قيمة هذه القضية وصدقها ما يسود الدولة من الاتجاه السياسي أو نظام الحكم فيها .

(١) (٢) (٣) ، الاتحاد القومي ، مرجع سابق ، الباب الثامن .

الفصل الثانى

أهمية المناهج التربوية للآباء

مما لا شك فيه أن الآباء يحبون أولادهم ويضحون بما يملكون وما يحتاجون إليه فى سبيل راحتهم ونفعهم ، فحقائبهم أو محافظهم تحمل دائمًا صور أطفالهم مصدر الاعتزاز بهم ، وقلوبهم تفيض بحبهم وتمتلئ بالتمنيات الطيبة لهم . والأبناء يتعرون بذلك منهم ، فيبادلونهم حبًا بحب واعتزازاً باعتزاز ، ويتخذونهم مثلا عليا يحتذونهم . وبهذه النظرة من الأبناء ينفذ الآباء إلى قلوبهم فيستطيعون التحكم فى تصرفاتهم وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف التى آمنوا هم بها وبخاصة فى مراحل الطفولة الأولى حيث « من شب على شىء شاب عليه » . وبهذه النظرة أيضا يقلد الناشئون من الأجيال الكبار فيوم . فإن كان هؤلاء الكبار على بصيرة بما يسعدهم ويسعد مجتمعهم معهم أخذت عنهم هذه الناشئة طريقهم المستقيم ، وإن حادوا وجهلوا وقفت دينامية التحرك نحو الخير وأصاب العطب آلاتها ، وقد لا تقوى المشاعل التى يحملها الشباب مستقبلا على نثر الضوء فى وجه الجهل الذى يحمله آباؤهم وكبار فيوم ، ولكن الذى لا شك فيه أن ضياءها يخفت ويتأخر إشعاعه .

والمعروف أن مناهج التربية فى نضج ثمرتها تحتاج إلى اشتراك البيت والمدرسة وتعاون الآباء والمدرسين على توجيه التلاميذ ، وتهذيب سلوكهم ، وإغرائهم باستقبال المعلومات والخبرات التربوية بجهد خالص ونفس راضية وعقل منفتح ، ودفعهم إلى الصمود فى وجه الصعاب التى تعترض طريق حياتهم التعليمية ، ومحاولة التغلب على المشاكل التى قد تعوق من نموهم التربوى .

ولن يكون البيت إيجابيًا فى التوجيه وذا فاعلية فى الاشتراك والتأثير فى البناء التربوى للتلميذ إلا إذا كان الآباء والأمهات على درجة من التربية تشعرهم بأهميتها لهم والجماعة ، وتحبب إليهم الحرص عليها فى أبنائهم كما سبق أن حرصوا عليها

واستشعروا نتائجها فى أنفسهم . فالآباء والأمهات إذا كانت لهم دراية تربوية وثقافية كافية أخلصوا فى المشاركة مع المدرسة والمدرسين ، وأسعفوا بخبرة وثقة فى حل المشاكل التى تكشف عنها الدراسة أو تخلقها الظروف المحيطة بالتلميذ ، كما أنهم لا يضنون بالإسهام بإمكاناتهم المادية وغير المادية فى نهضة المناهج التربوية العامة ، وارتقاء مستواها بين أبناء الشعب .

ولقد عرفت الأمم المتقدمة شأن الآباء فى توجيه السياسة التربوية فأشركوهم مع المسئولين التربويين فى وضع المناهج واقتراح الحلول لبعض الصعاب التى تنشأ فى المدرسة ، وتضامنوا معهم فى الاهتداء إلى الطريق القويم فى رد اعوجاج التلاميذ صلاحًا ، ومعالجة شذوذهم الدراسى ونحو ذلك مما لا تستغنى عنه العملية التربوية ولقد أفاد الآباء بما يرجى منهم فى هذا الصدد لأن غالبيتهم فى تلك البلاد على درجة مناسبة من الثقافة والتعليم تؤهلهم لأن يفيدوا ويستعان بهم إذا ما أُمِّلت فيهم الإفادة وطلب منهم العون .

وبرغم جهل الغالبية العظمى من الآباء فى جمهورية مصر العربية فقد بدأت منذ زمن ليس بالبعيد تطبق مبدأ تعاون الآباء مع المدارس بشكل إيجابى فى تشكيل مجالس الآباء والمعلمين على غرار مثيله فى بعض البلاد المتقدمة . غير أنها لم تجد من عون الآباء ما يشجع ويبعث الأمل ، فالدعوات ترسل مراراً إلى البيت لدعوة الآباء إلى المدارس والاشتراك مع المدرسين بآرائهم وخدماتهم فى ميدان التربية والتعليم ، ولكن لا يحضر من العديد المنتظر والمقدر بالمئات إلا أفراد ، ثم لا يستعد لبذل العون والقيام بالتعاون الصادق من هؤلاء الأفراد إلا قلة لا تغنى غناء ولا تبنى فى طريق الهدف من تعاونها التربوى رأس جسر أو بداية معبر .

وقد يقال إن الفقر الذى يعانيه غالبية الآباء هنا هو الذى تأخر بهم عن النهوض ونأى بهم عن المشاركة والحضور وتلبية الدعوات المدرسية ، لأن المدرسة غالبًا ما كانت تتبع الدعوة بطلب معونات مالية ، ولكن مهما يكن من أمر الفقر وشدته فلن يكون أبداً كل السبب ، فإن الفقير إذا أحس الرحمة بالفقراء ربما آثر فقيراً آخر مثله على نفسه بلقمة العيش الوحيدة التى فى يده . وأهم أسباب هذه الظاهرة كما أرى — وإن كنت لا أقلل من شأن الفقر — أن الآباء عندنا

لم يشعروا أهمية التربية وضرورتها فى خلق النهضات وتشييد الأمم ، وذلك لأن غالبيتهم لم يتعلموا طبقاً لمناهج تربوية سليمة ، فبعدوا عن المقومات الرشيدة للثقافة والتعليم ، ومن ثم لم يعرفوا لأيهما حلاوة المذاق ، وغفلوا عما تفعل كأس كليهما بالأبدان وسلامة العقول وصحة النفوس وإن كان فى مذاقها مرارة وفى التمرس بها صعوبة . ولو أنهم أخذوا بالقسط الكافى من التربية عن طريق مناهجها السليمة إذاً لأحسوا خطرها وهان عليهم بعض الوقت والمال فى سبيل إصلاحها والارتفاع بمستواها ، ولعرفوا كيف يحملون أمانة المشاركة فى مثل هذه الظروف إذا حملوها .

ولقد ارتفع مستوى المعيشة وكثر المال نوعاً بعد الثورة فى أيدى كثيرين ممن كانوا يحسون بضيق ذات اليد ، فهل تغيرت الحال وظفرت المدارس بالمشاركة والتعاون من أمثال هؤلاء الآباء ؟ إن الواقع ينطق بأن الحال ما زالت هى الحال ، وأن الشكوى من إحجام الآباء عن التعاون التربوى مع المدرسة لم تنقطع ، على أن الإحجام لم يقتصر على من يسمون بالجهلاء فى جمهورية مصر العربية بل تعداه إلى من يسمون بطبقة المتعلمين ، فالمدارس تشكو قلة الحضور وعدم تعاون البيت بالنسبة للمتعلمين أيضاً ، وتعقد الدهشة الأفواه حينئذ أن لم يفترق هؤلاء عن الجهلاء ومن لا حظ لهم من تعليم ، ولكنى أقول : إنها مناهج التربية التى تعرضوا لها حين كانوا يتعلمون فى المدارس ، فقد كانت لا شك ناقصة فيهم كما هى معدومة فى نظرائهم مثار هذه الشكوى . ولو أنهم تعلموا بمنهج تربوى سليم ، وتربوا تربية كاملة وسليمة لكان الأمر غير الأمر ، ولكنا نظفر منهم بتعاون فى المجال التربوى تدفعهم إليه سلامة تربيتهم وسواء تعاونوا . فالحق الذى يجب أن يقال هو أن السبب الذى يبرر هذه الظاهرة لم يعد كثيراً عن النقص التربوى الكامل أو الجزئى الذى يعانيه الآباء . فهى مناهج التربية السليمة التى تدفع بهم إلى التعاون الصادق مع المدرسة إذا قصدنا إلى اختصار الطريق كلاماً وعملا .

ومن ناحية أخرى فإن الآباء الجهلة قد لا يجدون معنى للتربية والتعليم فى أولادهم يفوق الخدمات التى يؤدونها لهم فى الحقل أو البيت أو مجال الصناعة . ومن ثم يضنون بوقت هؤلاء الأبناء أن يضيع فى الذهاب إلى المدرسة وتلقى العلم فيها ، ويتحايلون على القوانين التى سنتها الدولة بإلزامية التعليم ليظفروا بكل

وقت أولادهم يصرفونه فى تصريف شئونهم الخاصة وخدمة أغراض العمل أو الصنعة التى يؤدونها ، وإن فشلوا فى ذلك وقفوا سلبيين لا يقدمون لهم توجيهاً ولا يبدون نصيحة ولا يتابعون نموهم التربوى خارج المدرسة بما يساعد داخلها .

وفريق آخر منهم يحس جرم الجهل فى نفسه ، أو فظاعة النقص التربوى الذى يعانيه ؛ فيحاول أن يعوض ذلك فى ولده ، ولكنه — مدفوعاً بهذا الدفع — يشتط ويبعد فى تخيل الآمال التى تفوق قدرة ولده ، ويتعجل النتائج ويريدها دائماً حسنة لا شائبة فيها من نقص ، والويل والثبور للولد والزمن والظروف إن حدث قصور فى بعض النواحى . فهو لا ينظر إلى الأسباب والعوامل المحيطة التى تؤثر فى تحصيل التلميذ العلمى . ولا يوطن نفسه على مواجهة المشاكل التربوية التى تعترض طريقه ، ولا يكلف نفسه البحث عن حلول معقولة لها . ولذا يسلك مع أولاده سلوك الهدم التربوى دون أن يدرى ، ويعمل من جانبه على فشلهم التربوى وخيبة مقاصدهم العلمية .

ويجب ألا نغفل أن أضرار الجهل فى الآباء لا تقتصر على الآثار السيئة التى يتركونها فى الأبناء والأجيال الصاعدة وإنما تمتد إليهم أنفسهم ، لأن الجهل يبتعدهم عن مستوى الإنسانية ويحط من كرامتهم . فالجاهل لا يعرف معنى النظام فى نفسه أو فيما يعمل ، ولا يقدر القيم الاجتماعية فى المجتمع الذى يعيش فيه . فهو فى أغلب الأحيان فوضوى المظهر والمخبر ، يكره أن يرتقى بمستواه لأنه لم يعرف الطريق إلى ذلك « ومن جهل شيئاً عاداه » ، وهو فى عمله كثيراً ما لا يحترم قانوناً ولا يطيع تشريعاً لأنه جبل من صغره على أن يعمل العمل كيفما اتفق لا تحكمه قيود ولا تحده نظم ، وأمثال هذا فى مجتمعاتنا العربية كثير . وها نحن أولاء نسمع أن حكومة جمهورية مصر العربية توظف الإخصائيين فى مجال الزراعة وغيرها لإرشاد الناس إلى خير ما يعود عليهم بالنفع ، ولتنظيم أعمالهم بما يجعلها أكثر نماء وحيوية وإنتاجاً ولكن كثيراً منهم لجهلهم لا يأبهون لعمل الإخصائى ، ويتهربون من تشريعاته وتوجيهاته كأنه وظف للإضرار بهم لا لنفعهم . وهكذا يرتكب الجهلاء المخالفات ضد القوانين التى تصدرها الحكومة لخيرهم ، ومرجع هذه المخالفات فى غالب الظن هو الجهل وعدم الوعى التربوى وضيق الأفق الثقافى . وأين هذا مما يحدث

فى البلاد الأجنبية ذات الشعوب المثقفة المتعلمة حين تصدر القوانين أو تسن التشريعات التى تحد من منفعة الشخص أو تقيد من استفادته فى ناحية من النواحى لبعض الظروف الحرجة أو الطارئة فيستجيب الأفراد توًّا مدفوعين برعاية الصالح العام ، ويحاسبون أنفسهم بأنفسهم إذا جاروا أو خالفوا القانون .

الجاهل أيضًا لا يرعى لغيره من الناس حقوقًا ، وكأن الدنيا خلقت له وحده ومن أجله فقط . ومن ثم يصعب مرامه النهضى ، وكثيراً ما يستعصى على التطور والتقدم . على أنه بعامة ضعيف الحيلة ناقص الإمكان ، عاجز عن تفهم الصواب فى شتى طريق الحياة الكريمة لنفسه ، والارتقاء بمستوى عيشه ووجوده الإنسانى . وإنى لأعرف كثيراً من ذوى الثروات المعقولة يضنون على أنفسهم بالمسكن اللائق والطعام الصحى والمظهر الكريم ، ويفضلون على ذلك كله تكديس الأموال والتمتع بعدها .

تربية الآباء على أساس من المناهج التى تقوم على تدريبهم فى مجال أعمالهم وتبصيرهم بالفنية السليمة للحرفة التى يحترفونها فوق إزالة أميتهم الثقافية يساعد مساعدة كبيرة على تنمية المهارات فيهم وتطويرها تطويراًسريعًا وفعالا لمصالحهم ومصالح الدولة أيضًا ، فالزارع إذا تدرب على استخدام الآلات الميكانيكية ووسائل تصنيع المنتجات الزراعية واتباع الطرق الحديثة فى فلاحة الأرض فإن الزراعة على يديه ترتفع بمستواه المعيشى وتسهم فوق ذلك فى اكتفاء الدولة الذاتى وتوفير لعملات الأجنبية للارتفاع بها فيما لا غنى عن الاحتياج إليها فيه كالمشروعات الصناعية الكبرى وغير ذلك. والعامل إذا أحسن تدريبه الفنى فارتفع مستواه فى الأداء ووعى معنى الخلق ومحاسبة الضمير حين يعمل فإن ذلك يرتد قوة مادية وصناعة يتحول عائدها إلى نفسه سعادة ورفاهية وإلى الوطن نهضة وتقدمًا . وهكذا فإن هذه المناهج التربوية والتعليمية للآباء تقدرهم على إتقان الأعمال والإخلاص فى أداء الواجب فيها بما يحقق الخير للفرد والأمة جميعًا .

وحين نتحدث عن الآباء لا نعنى قصر الكلام عليهم دون الأمهات ، فالأم المثقفة ودورها الكبير فى العناية بأولادها وتنشئتهم النشأة الصحية عقليًا وجسميا وبث العادات السليمة والخلق القويم فى نفوسهم — وهم الجيل الناهض —

كل ذلك وأثره الاجتماعى فى فاعلية العمل القومى وزيادة الإنتاج يبين الأهمية الكبرى فى تربية الأم ورفع مستواها الثقافى ضمانًا لخير الأجيال المتعاقبة . على أنها — وهى ربة بيت — تحتاج إلى التربية الاقتصادية والتثقيف الاجتماعى لتشارك فى دعم الاستقرار والعمل على إشاعة الرخاء بما تحسن فى تدبير منزلها وإسعاد زوجها ومشاركة المسئولين فى القضاء على الأزمات أو التلاعب بالأسعار أو شن الحرب على السوق السوداء أو غير ذلك مما يتيح للدولة أن تتفرغ لمشاكلها الكبرى وتنهض بأعباء التخطيط الدقيق للمستقبل . والمسئول عن ذلك لا شك هو المناهج التربوية .

وفى فترات التحول والنهوض بخاصة يعد تعليم الكبار — وجلهم آباء — ضرورة من ضرورات النهضة ؛ فتعليمهم يهيئ لهم فرص الأعمال ويقودهم إلى إقامة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية النافعة . وبقدر ما تتفتح أبواب العمل وتقوم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة تكبر مسئولياتهم الفكرية والخلقية والاجتماعية ، وهى سناد الأمة فى تطورها وتحقيق أهدافها وتدعيم كيانها . وعلى العكس من ذلك فإن إغفال تعليمهم يقعد بهم عن المشاركة المجدية فى مسايرة التطور بالأخذ بنصيب فى دفع عجلة النهوض إلى الأمام ، بل كثيراً ما يخلق العراقيل والصعاب التى يعانى منها المسئولون والمجتمع بعامته ، وإلا فكيف يحافظ شعب على حريته ؟ وكيف يقف فى وجه التيارات السياسية المعادية ؟ وكيف يتعرف على أساليب الخداع التى يلجأ إليها الاستعمار فى كثير من الأحيان للسطو على مقدرات الدول النامية وأرزاق أهلها ومكاسبهم ؟ وكيف يستعمل حقه فى حرية انتخاب ممثليه ؟ كيف يتحقق هذا وغير هذا لمن لم يتبصر ويعِ ويقف — عن طريق مناهج التربية والتثقيف — ذكيًا حساسًا بكل ما يدور حوله وما يدبر له فى خفاء أو علن ؟

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن تربية الخلق الوظيفى فى الموظفين عن طريق المناهج القويمة التى توضع لهم من أهم دعائم التقدم فى أى مجتمع . الخلق الوظيفى الذى أقصده هو معرفة الموظف بأصول التعامل السليم مع الجمهور ، ووضع مسئولية وظيفته والأعمال التى تتطلبها فى مقدمة المسئوليات والأعمال ، ثم قيامه بواجباته فيها بإخلاص وأمانة دون أن يسوقه سائق ما . ولست مبالغًا إذا قلت إن النقص فى هذا الجانب من التربية — وهو ما يقوم أساسًا على التربية

الخلقية والاجتماعية — لهو من أهم معوقات التقدم الثورى فى مجتمعنا العربى . موظفونا وإن كانوا متعلمين بنسب متفاوتة إلا أن التربية الخلقية تنقصهم . فهم لا يعرفون الفضائل التى تحث عليها الأديان وتقتضيها أصول الخلق القويم كالصدق والأمانة والإخلاص فى العمل ومحاسبة الضمير ونحو ذلك . وهم يجهلون قواعد التعامل الإنسانى المهذب . وهم إذاً ببعدهم عن الخلق الوظيفى أعجز من أن تحملوا مسئولية غيرهم لأنهم أنانيون لا تهمهم غير مصالحهم الشخصية ، ومن ثم تضيع حقوق غيرهم بين أيديهم . وهم حين يتعاملون مع الناس يسيئون إلى من يتلطف إليهم بسؤال أو يقف أمامهم مستفسراً أو يطلب إليهم عملا من صميم اختصاصهم . وهم بتهاونهم وإهمالهم متطلبات المسئولية الوظيفية أو بعدم إلمامهم بقواعدها وأصولها يضطرون ذوى المصالح لديهم — بسبب كثرة السؤال عن تلك المصالح أو قلقهم أن يبوءوا بالبوار نتيجة الإهمال والتهاون — أن يلجئوا إلى الرشوة أو التحايل فى البحث عن أبواب المحسوبية ؛ مما يشيع فى الناس عدم الاستقرار وتعطيل الأعمال ، ويعود على الدولة بالخسارة فى إنتاجها العام وحصيلة دخلها القومى . إن كثيراً من هؤلاء يتعمدون الإضرار بمن يقع تحت طائلتهم أو يقصدون إلى التراخى فى أعمالهم قصداً ليبلغوا غاية دنيئة أو يشبعوا هواية الإضرار بالناس . إنهم هؤلاء — وبرغم ما بلغوه من مستوى تعليمى — فى حاجة إلى قدر من التربية لغرس الخلق الوظيفى فى نفوسهم ومحو الأمية الخلقية منهم حتى تستريح النفوس وتقوى الروابط الاجتماعية والأخوية وتسير عجلة التقدم دون إبطاء فى بلدنا وهو أحوج ما يكون فى عهد ثورته الشاملة ألا يتوقف لحظة واحدة .

وختام الحديث فى هذا الصدد أن الجاهل فى أى مجال من المجالات التى تحدثت عنها عدو نفسه وعدو الأمة التى يعيش فيها ، لأنه بجهله وتصرفاته الخرقاء يهدم نفسه ويهدم أمته . ولا سبيل إلى إنقاذه وإنقاذ أمته من شروره إلا بالتربية واتساع الوعى الثقافى عنده عن طريق المناهج التعليمية السليمة . وذلك كله ينطق بوضوح وجلاء بما للتربية الآباء والكبار من أهمية كبرى إذا أريد الوصول بالدولة والأفراد جميعاً إلى غاية مأمونة وبر اجتماعى أمين وسعيد . ولهذا تحاول الدول النامية وعلى رأسها جمهورية مصر العربية إعانتها منها بأهمية التربية للآباء فى مساعدتها

على بناء جيل هادف وشعب واع ينفعها فى الأزمات ويحقق لها طموحها ويرفع من مكانتها بين الدول ؛ تحاول أن تضع المناهج التربوية التى تقضى على الجهل وتزيل الأمية التى ابتلى بها الكبار من أبنائها حتى تضمن أن كل فرد فيها يتحمل نصيبه فى دفع عجلة التقدم والنمو إلى الأمام من زاوية أو من أخرى ، فيتحقق لها الهدف العام الذى تنشده من الرقى والنهضة .

الفصل الثالث

أهمية المناهج التربوية للناشئين

إذا كان المجتمع عبارة عن مجموعة أو مجموعات من الأفراد تجمعهم ثقافة واحدة ، فإن كل خير تسديه مناهج التربية إلى المجتمع بعامة يعود أثره على الأفراد ، أو هو خير للأفراد أنفسهم وبخاصة الناشئون منهم لأنهم الممثلون الحقيقيون لمستقبله ونهضته المنتظرة . وإذاً فما تقدم من الحديث عن أهمية مناهج التربية للدولة والآباء تتبلور نتائجه فى الشباب الناشئ وما يتحقق لهم من منافع قريبة أو بعيدة .

وحصراً للحديث فى أهمية مناهج التربية للشباب والناشئين مباشرة فإن أقل ما تسديه هذه المناهج لهم هو أنها — إذا سلمت وصحت — تعطيهم مفتاح الحرية الحقيقية وتفتح عيونهم وعقولهم على الواجبات التى يكلفونها وعلى الحقوق التى يجب أن ينشئوا على الحرص عليها والدفاع عنها ضد من يريد اغتصابها منهم . ولقد كان الولاة من أسرة محمد على يهملون تربية الشعب المصرى وتعليمه ويغلقون أمامه المدارس ومنابع الثقافة لأنهم كانوا يأملون دوام السيطرة والسيادة والتحكم والانغماس فى الهوى والشهوات حين يغفو الشعب بجهالته وتطمس معالم النور فى وجهه ضلالة من عدم المعرفة والتعليم .

وقد قيل إن الظلم فى ذاته لا يولد الثورة . ولكن الذى يولد الثورة هو الإحساس بالظلم . وليس هناك من سبيل للإحساس بالظلم أقوم من أن يتعلم الإنسان ويتهذب ويزداد ثقافة وخبرة ، فيعرف عن هذا الطريق ما له فيسعى وراءه ، ويقبض عليه — إن تاله — بيد من حديد لا يعرف التفريط إلا بإسلام الروح . وكلما تعلم الإنسان وتهذب صغيراً وتدرب على ممارسة حقوقه منذ عهد الطفولة كان ذلك أدعى ألا يتهاون فيها عند الكبر ، وأقوى صلابة فى الدفاع عنها والوقوف فى وجه غاصبيها . وذلك ما كان يخشاه كثير من الحكام الطغاة قديماً فأهملوا التربية ومناهجها الصحيحة أيما إهمال وانصرفوا يعبثون بمقدرات الشعوب وينتهبون خيراتها لاعبين .

ولسنا نقصد بتربية الأفراد هنا مجرد إعدادهم عن طريق المناهج التعليمية ليكونوا كتبة وموظفين بمكاتب الحكومة ودواوينها كما كان يحدث فى مصر فى عهود غابرة ؛ لأن هذا القصد تضييق خاطئ لمعنى التربية ، وإنما نقصد بتربية الفرد طرد الجهل من رأسه لأنه ظلمة وإحلال العلم والمعرفة مكانه لأنه نور . فتعمل مناهج التربية حينئذ على تغذية نموه العقلى وتطوره بما يفتح أمامه مغاليق المشاكل والصعاب ويهديه إلى أسلم الحلول وأدناها إلى الصواب فى مواقف الحياة التى تعترضه ، وتنمى فيه الاتجاهات والعادات والمفاهيم التى تعد جوهر التكيف الاجتماعى الصحيح ، والتى ترضيه عن نفسه وتشعره بأهمية وجوده فى البيئة التى يعيش فيها وتساعده على تطوره الاجتماعى ، وتمده بالمعلومات الحقيقية التى تعتبر أساس الأحكام المعقولة واتخاذ القرارات الحكيمة ، وتساعده على اطراد صحته الجسمية والعقلية ، وعلى نموه الخلقى والروحى ، وتهذب نفسه وإحساسه وتخلق فيه روح الاعتماد على النفس ، واحترام الأعمال والمهارات المختلفة — مهما بدت فى نظر البعض حقيرة — لأنها تؤدى رسالة اجتماعية وتسد بعض الحاجات التى لا غنى عنها . وتفتح أمامه مجالات المعرفة والتزود بالخبرات وعدم الانقطاع عن الدرس والتحصيل .

بهذا كله تصل مناهج التربية إلى أهدافها فى الشباب فينشئوا « صالحين قادرين على أن يعيشوا أولا ، وعلى ألا يقتنعوا بأدنى العيش بل يرغبون فى طيبات الحياة ويستطيعون أن يبلغوا منها بعض ما يريدون ثانيا ، وعلى أن يفهموا معنى الوطن ويقدروا حقه عليهم ثالثا ، وعلى أن يفهموا هذه الصلة الاجتماعية التى تمكنهم من أن يعايش بعضهم بعضا ويزاحم بعضهم بعضا فى غير مضارة ولا تعمد للشر ولا قصد إلى إثم ولا تورط فى الجرائم والسيئات رابعا ، وقادرين أخيراً على أن يفهموا معنى الإنسانية ويحققوه ويشعروا بمالهم على الأمم الأجنبية من حق وما عليهم لها من واجب ، قادرين على الجملة أن يفهموا الحياة وينهضوا بتبعاتها لأنفسهم وأسرهم ووطنهم والناس جميعا »[1] .

إن مناهج التربية السليمة فيها بناء لشخصية المتعلم الفردية والاجتماعية ، واكمال

(١) طه حسين ، مستقبل الثقافة فى مصر ، مكتبة المعارف وطبعتها بمصر ، ١٩٣٨ ، ص ٥٦ .

لمقومات حياته السعيدة ، وسبيل إلى إشباع حاجاته والسمو بقدراته واستعداداته وتحقيق لرغباته عن طريق مشروعة لا اعتداء فيها على حرمات الآخرين ورغباتهم . وإذا كانت مناهج التربية تؤدى مثل هذه الخدمات للشباب وتقوم بتلك الوظائف التى حدثنا عنها فما أحراها أن تتصف بالأهمية الكبرى للناشئين . وما أحرى الأمة — والشيب طليعتها فى الحاضر وعدتها فى المستقبل وجيشها الوطنى الذى يكون شعبها ويحقق آمالها — ما أحراها ألا تبخل عليهم بالتربية والتهذيب والتثقيف مصوغة فى أمثل المناهج التى تحقق لهم هذه الأهداف .

• • •